

(٦)

السيدة أم سلمة - رضى الله عنها

أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة كانت من فضليات نساء الإسلام قبل زواجها من النبى ﷺ، وذات ماضٍ ناصع فى ظل الإسلام، ولها نسب عالٍ فى قومها من جهة أبيها ومن جهة أمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة.

وقد حظيت بزواجٍ حاز من مناقب الفضل ما هو موهوب ومكسوب، فهو ابن عمه النبى - عليه السلام - أمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم، وأخو النبى من الرضاعة، هذا هو الفضل الموهوب، الذى ليس للعبد فى تحصيله حيلة.

أما الفضل المكسوب فقد كان من السابقين الأولين إلى الإسلام وهاجر إلى الحبشة مع المهاجرين الأوائل ومعه هند وزوجه، حيث ولدت له ابنة (سلمة) فى أرض المهجر، بعيداً عن الأهل ثم عادا إلى مكة بعد إنهاء المقاطعة التى فرضتها قريش على النبى ومن بقى معه من المسلمين.

ولما تمهدت السبل للهجرة العظمى إلى المدينة أذن لهما النبى

بالهجرة، وفى الطريق انتزعها أهلها وهم على الشرك من زوجها ومعها ابنها سلمة، ثم أذنوا لها باللاحاق بزوجها بالمدينة فهاجرت إليها.

وكان لزوجها بلاء حسن فى الإسلام، وقد عقد له النبى ﷺ لواء القيادة لبعض الحملات العسكرية.

وكان ممن شهد بدرأ وأسهم فى تحقيق الانتصار العظيم على الشرك والمشركين.

كما شهد غزوة أحد، وأصيب بجرح غائر برئ منه حيناً، ثم عاوده مرة أخرى، وكان سبباً فى موته شهيداً.

وقد حضر وفاته النبى ﷺ، وكان مما قال فى لحظة الوفاة:

«اللهم اخلفنى فى أهلى خيراً» وسمع النبى هذا الدعاء الصاعد من أحد العباد إلى رب العباد.

وترك لأم سلمة عيالاً ترعاهم، منهم سلمة الذى عُنَى به النبى - عليه السلام - حتى زوجه من أراد.

وبعد انقضاء عدة الوفاة سارع أبو بكر لخطبتها رحمة بها، ومواساة لها فرفضت.

فسارع عمر بن الخطاب ليخطبها لنفسه تكريماً ومواساة فرفضت كما رفضت خطبة أبى بكر من قبل.

ثم خطبها رسول الله ﷺ فاعتذرت بأنها مسنة، وأنها غيّرى،
وأُم عيال.

فرد النبي اعتذارها بأنه هو أسن منها، وأما عيالها فلهم الله
ورسوله، وأما الغيرة فسيذهبها الله إن شاء الله عنها.

ولم يكن بد لأم سلمة من قبول الزواج من النبي - عليه
السلام - فى شهر شوال من السنة الرابعة من الهجرة.

كان عمره الشريف حين بنى بأم سلمة يناهز السابعة
والخمسين، وهى سن تخبو فيها الغريزة الجنسية عادة وهى - وإن
بقيت - فقد ذهبت حدتها، وكاد الطبع أن ينساها، أو لا يقيم لها
وزناً إذا تذكرها، وكانت أم سلمة قد جاوزت سن اليأس، فهل
يكون من المعقول أو من المقبول أن يقول أولئك الحقدة إن الهوى
والميل الجنسى هو الذى حمل محمداً ﷺ على التزوج من أم
سلمة المرأة العجوز؟ أهؤلاء ينسبون إلى حظيرة العقلاء؟

لو جاز فى حكم العقل أن يتهم طفل دون العاشرة بالصبوة إلى
الإناث ما جاز أن يتهم رجل مثقل بالأعباء والمهام الجادة فى الحياة
تجاوز من العمر الخمسين بمثل ما اتهم به هؤلاء الدجالون محمداً
ﷺ.

لكن كفرهم بالحق الذى جاء به، وحبهم للباطل الذى خذله
وفضحه وعراه، هذان العاملان، مع ما تولد عنهما من حسدٍ هُما

اللذان أمليا عليهم هذا الهراء الذى يخجل منه المجانين .
وصدق الشاعر الذى قال فى تحليل هذه الظواهر نفسياً قبل أن
يؤكد علم النفس الحديث بمدارسه ومناهجه :
وعين الرضا عن كل عيب كليله
ولكن عين السخط تُبْدى المساوياً

* * *